مجلة الدراسات الفلسطينية، المجلد 14، العدد 56 (خريف 2003)، ص 37

حركة التضامن الدولية مع فلسطين
على مفترق طرق**

شارمين سايتز*

تبلورت حركة التضامن الدولية (ح ت د/ International Solidarity Movement) كأبرز وجه لعمل النشطاء الدوليين في فلسطين. ويوضح هذا التقرير كيفية تطور ح ت د من تقاطع مبادرات مستقلة متعددة – فلسطينية وأجنبية وإسرائيلية – في أوائل أشهر انتفاضة الأقصى إلى حركة فضفاضة لكن قادرة على التوالد، وذات فعالية كافية لاستدراج الضغوط الإسرائيلية المكثفة. ويخلص التقرير إلى مناقشة مختلف الخيارات المطروحة أمام الحركة في وجه التحديات الجديدة.

بعد مقتل عشرات الفلسطينيين العزّل على يد العسكر الإسرائيلي في الأيام التي عقبت 28 أيلول/سبتمبر 2000، كانت ردة الفعل الفلسطينية مطالبة الأمم المتحدة بالتحقيق في الاعتداءات، ونشر مراقبين دوليين على الأرض. غير أن المبادرة ظلت مولوداً ميتاً جرّاء المعارضة الأميركية والإسرائيلية، لكنها عملت عمل المحفز لسلسلة من المبادرات المرتجلة والمتنامية من جانب مجموعات دولية تهدف، من خلال وجودها الجسدي المباشر، إلى تقديم الحماية والشهادة للشعب الفلسطيني الذي يتزايد عزله ومحاصرته.

ومن تضافر هذه المبادرات المتنوعة (وبالمصادفة إلى حد ما)، تبلورت ح ت د كأبرز وجه لعمل النشطاء الدوليين في فلسطين. وقد كشف مقتل متطوعة حركة التضامن الدولية راشيل كوري (Rachel Corrie) في آذار/مارس 2003، في رفح، مدى عدم خضوع العسكر الإسرائيلي للمحاسبة على نحو لم يكشفه مصرع مئات الفلسطينيين.[1] واللافت أن متطوعي ح ت د يتقاطرون في معظمهم من الولايات المتحدة وإنكلترا؛ أي من دولتين عميقتي التورط في التلاعب بالنزاع الفلسطيني – الإسرائيلي من خلال الأسلحة والدبلوماسية، وأن الشهادات الحية التي يدلي بها متطوعو ح ت د العائدون إلى ديارهم تشكل مرآة تعكس هذا التورط، وتضرم حنق إسرائيل ومناصريها. وقد أنفقت ح ت د السنتين الماضيتين في تشكيل حركة تضامن فضفاضة وقادرة على التوالد؛ وهي اليوم تواجه تحديات الضغوط الإسرائيلية المكثفة.

** المصدر: *Journal of Palestine Studies*, vol. XXXII, no. 4, Summer 2003, pp. 50-67.

* صحافية أميركية مقيمة برام الله.

نظرة إجمالية إلى الحركة

لا بد لأي وصف لحركة التضامن الدولية من أن يبدأ بهذا النفي: إن جوهر وجود النشطاء الدوليين في الأراضي المحتلة يتحدى التوضيب المرتَّب. فهناك زيارات القرى أو البلدات الفلسطينية، مع حضور "دولي" ثابت، التي يمكن أن تدفع متطوعي ح ت د السابقين إلى العودة للبقاء، وهناك وفود الجماعات التضامنية الأوروبية المحدودة الإقامة، أو منظمات حركة التضامن الدولية الأكثر ثباتاً، أو الحركة النسائية الدولية للسلام (التي نصفها أدناه). وفي الأوقات العصيبة، أو في أثناء الحملات، يعمل المتطوعون الدوليون من وفرة المجموعات القائمة معاً، ويتقبلون الانتصارات والهزائم متكافلين. ويطلق معظم الفلسطينيين على هذه الجماعات تسمية جامعة فيدعونهم "أجانب"، بدلاً من التمييز بين كثرة التسميات المربكة الموجودة على الأرض.

إن ما يميز ح ت د هو برنامجها الفريد الموجه نحو النشاط الطويل الأمد في الأراضي المحتلة. فمتطوعو الحركة، الذين في الغالب تعرفوا عليها من خلال شبكات نشاط غير رسمية (مجموعات الأنباء على الإنترنت، لجان العمل الفلسطينية المحلية، الجماعات الكنسية، أو مجموعات مقاطعة طالبية)، ينخرطون في العمل من أي مكان في العالم من خلال موقع ح ت د على شبكة الإنترنت، أو من خلال "فرع" الحركة المحلي. يجب أن يتجاوز عمر النشطاء الثامنة عشرة، مع أنهم ما زالوا في معظمهم في العشرينات من أعمارهم أو تخطوا سنوات القيام بأود أسرة. وينخرط السواد الأعظم من المتطوعين لمدة تتجاوز الشهر. وهم يدفعون نفقات سفرهم، ويُنصح لهم رصد ميزانية تتراوح بين 100 و150 دولاراً أميركياً في الأسبوع، علاوة على أجور السفر الجوي. وتذهب التقديرات إلى أن نصف المتطوعين الذين يناهز عددهم الألف (وتحول قاعدة بيانات مدمرة دون إجراء إحصاء دقيق) جاء من الولايات المتحدة.(2) وربع الأميركيين بينهم هو من اليهود. أمّا باقي المتطوعين فهو من الإنكليز والكنديين، وإن بات المتطوعون يفدون اليوم بصورة متزايدة من أوروبا وآسيا.

عندما يصل المتطوعون إلى الأراضي المحتلة يُطلب منهم أن يشاركوا في برنامج تدريبي يدوم مدة يومين في بيت ساحور، ويشتمل على نبذة تاريخية عن الصراع، وتمارين في عملية بناء الإجماع التي تحكم ح ت د، وحلقة دراسية عن حقوق المتطوع في التعامل مع السلطات الإسرائيلية، ومعلومات عن كيفية التمييز بين مختلف المركبات والأزياء العسكرية الإسرائيلية. يعقب ذلك نقاش بشأن الدعوة إلى السلام ومنهجية اللاعنف بقيادة فريق إحلال السلام المسيحي، وهو فريق معظم أفراده من الأميركيين والكنديين المنخرطين في عمليات التدخل السلمي في الخليل منذ سنة 4991.(3) ثم يتوجب على المتطوعين أن يوقعوا تعهداً يلتزمون بموجبه القواعد الأساسية لحركة التضامن الدولية، ويقرون بوجود مخاطر الاعتقال والإصابة والوفاة.

بعد التدريب يُرسل المتطوعون إلى مختلف مناطق الضفة الغربية (وفي الفترة الأخيرة إلى غزة) بحسب الحاجة. وهم يُمنحون حق تقرير الموقع الذي يرسلون إليه، ويشجَّعون على عدم دخول المناطق الخطرة إلاّ إذا شعروا بالاستعداد لذلك.

على الأرض، يقيم متطوعو الحركة مع أسر فلسطينية، أو بمنزل تستأجره الحركة. ويلتقي المتطوعون الدوليون يومياً "الجماعة المجانسة" (أي حفنة من المتطوعين الدوليين الآخرين) لتقويم التطورات الميدانية وتقرير الأولوية لذلك اليوم. وفي بعض المناطق، ولا سيما نابلس وجنين، منحت ح ت د المنسقين الفلسطينيين الناطقين بالإنكليزية رواتب ضئيلة لمساعدة المجموعة على جمع المعلومات وتسهيل الأنشطة. وفي معظم الأحيان تتدخل الجماعة المجانسة فيما يعتبر أنشطة عسكرية إسرائيلية "روتينية"، كمضايقة الفلسطينيين الذين يعبرون الحواجز العسكرية، أو إطلاق النار في محيط المنازل الفلسطينية. وخلال أوقات حظر التجول يقومون بتوفير الغذاء، والدواء، والماء للأسر المحتاجة. وفي حالات أُخرى ربما اطلع متطوعو الحركة على عملية إسرائيلية محددة في قيد التنفيذ – اعتقالات، استيلاء على منزل فلسطيني لاستخدامه قاعدة عسكرية أو مركز اعتقال، تهديم منازل، أو هجوم شامل على حي معين – فيتدخلون جسدياً لتوفير الحماية للفلسطينيين، أو لتوثيق أعمال الجيش مستخدمين آلات التصوير أو الفيديو خاصتهم. وقد هُرست راشيل كوري، البالغة من العمر ثلاثة وعشرين عاماً، في جنوب قطاع غزة بينما كانت تعوق مع سبعة متطوعين آخرين أعمال الهدم التي كانت تجري بالقرب من أحد الأحياء الفلسطينية.[4]

وثمة في العادة عدة عشرات من نشطاء ح ت د الموجودين في مختلف القرى والبلدات في أي وقت من الأوقات في أنحاء الأراضي المحتلة كافة.[5] لكن ح ت د تقوم، بين الحين والآخر، بالتنسيق أيضاً مع سواها من المجموعات المحلية والدولية لتنظيم حملات دولية تدوم عدة أسابيع يتوافد خلالها مئات النشطاء إلى الأراضي المحتلة لتقديم، مثلاً، الحماية الجسدية من المستوطنين الإسرائيليين بينما يقوم الفلسطينيون بقطاف الزيتون.

تطورت ح ت د، منذ بداياتها بُعيد اندلاع الانتفاضة الثانية في 29 أيلول/ سبتمبر 2000، من مجرد تلاق بين نظرات متجانسة إلى حركة توصلت، من خلال استخلاصها الدروس من العمل مع الفلسطينيين على الأرض، إلى توليد أثر لا يستهان به في الإدراك الدولي للاحتلال الإسرائيلي.

بدايات مبعثرة

اتسمت الأسابيع الأولى من الانتفاضة بلجوء الجماهير الفلسطينية إلى التظاهرات

الحماسـية والمسـيرات الحاشـدة. لكن تصـاعد نسـبة القتلى، مع اسـتخدام الجيش الإسـرائيلي الذخيرة الحية والرصـاص المطاطي والغاز المسـيل للدموع لتفريق التظاهرات، سـرعان ما أحبط دور هذه الجماهير.[6] وخلافاً للانتفاضـة الأولى التي قامت فيها المجتمعات المحلية بدور ناشـط في المقاطعة الاقتصـادية، والامتناع من دفع الضـرائب، والمدارس البيتية للالتفاف على الإغلاق وحظر التجول، والمسـيرات والتظاهرات شبه اليومية، فإن هذه الانتفاضة وجدت كثيرين من النشطاء الفلسطينيين إمّا منقطعين عن العملية السياسـية، وإمّا موظفين في السلطة الفلسطينية ومرتبطين حكماً بمصـالحها وخططها، وإمّا متورطين بعمق في شـبكة المنظمات غير الحكومية ومموليها الدوليين. أمّا بالنسـبة إلى أولئك الذين كانوا على اسـتعداد لأن يعودوا إلى الانخراط في مشـروع المقاومة، فإن نموذج حزب الله في الجنوب اللبناني كان يبدو قادراً على منح شيء من الأمل بأن يتمكن الفلسطينيون، وإن كانوا أضعف تسليحاً من الإسرائيليين، من أن يستنزفوا إسرائيل ويحملوها على الخروج من الأراضـي المحتلة. وقد سـاهمت هذه العوامل كلها في تحويل انتفاضـة الأقصـى إلى مواجهة مسلحة في معظمها. وبعد أسـابيع من المواجهات التي أسـفرت عن خسـائر بشـرية فادحة في صفوف الفلسطينيين، راح النشطاء في المجتمع المدني الفلسطيني في الضفة الغربية خاصـة، يبحثون عن سبل جديدة للمشـاركة في الانتفاضـة؛ سبل لا تؤدي إلى مقتل المتظاهرين.

في 28 تشـرين الثاني/نوفمبر، شـقت قافلة صـغيرة من السـيارات التي تحمل لوحات إسـرائيلية طريقها من القدس صـعوداً على طريق [مسـتعمرة] أريئيل العام، المخصص للإسرائيليين حصراً، واجتازت سلسلة الحواجز العسكرية الإسرائيلية إلى قرية حارس الفلسـطينية الصـغيرة. كانت القرية، ومعها توأمها كفل حارث، تقف في طريق توسـع مسـتوطنة أريئيل، فكانت لذلك هدفاً طبيعياً لكلا الجيش والمسـتوطنين المجاورين لها. وقد جاء النشطاء الإسرائيليون للقاء نواف صوف، وهو منظم فلسطيني بارز كان دعاهم إلى التحدث عن الاستراتيجيا. كانت نيتا غولان الإسرائيلية الكندية، البالغة من العمر تسـعة وعشـرين عاماً، تقيم بالقرية وتوثق المضـايقات، كقطع المستوطنين أشجار الزيتون النفيسة في القرية.

في أول زيارة قامت غولان بها لقرية حارس، علمت هي وناشط إسرائيلي آخر بأن هناك مواجهة عند مشـارف القرية. هرعا يومها إلى الموقع لمفاوضـة المسـتوطنين والجنود، ووقفا بينهم وبين الشبان الفلسطينيين، الذين سـارعوا بفضل هذه الحماية إلى إزالة حاجز ترابي يسـد الطريق. "كانت تجربة رائعة ورهيبة – مجرد فكرة أن دمك أهم جداً"، على ما تذكر عن أول دور لها كـ "درع بشرية".[7]

ركز اجتماع تشرين الثاني/نوفمبر بين النشطاء الإسرائيليين وأهالي حارس على

إمكانات القيام بمزيد من أنشطة الدروع الواقية. وقد شدد نواف صوف على أنه لا بد من حضور دولي كي يتمكن الفلسطينيون من الانخراط في مجابهة مباشرة مع الجيش. وقد بلّغهم قائلاً: "علينا بذل كل جهد ممكن كي نتجنب سفك الدماء، لكن دمنا لا يقام لـه وزن. أمّا الدم الأميركي والبريطاني فنفيس جداً." كان صوف يعتقد أن على المجموعة الإسرائيلية (وكثيرون من أعضائها يحملون جوازات سفر أُخرى) أن تقيم لها حضوراً دائماً في حارس لتوفير الحماية ومتابعة التوثيق – أي لتكوين صيغة موسعة لما بدأته غولان.[8] وما زال هذا الحضور الدولي المتمركز في حارس، والممتد في اتجاه سواها من القرى الشمالية في الضفة الغربية، مستمراً اليوم من خلال الحركة النسائية الدولية للسلام.[9] فهذه الحركة تحتفظ بمنزل في القرية، ويتناوب أعضاؤها المكوث في القرية مدة ثلاثة أشهر.

في تلك الأثناء، وعلى مسافة كيلومترات في رام الله، كانت مجموعة صغيرة من المتطوعين الدوليين[10] تناقش كيفية استخدام وضعهم كأجانب أداة للضغط. كانت الكتلة المتنوعة، المؤلفة من فلسطينيين يحملون جوازات سفر أجنبية، ومن عاملين في وكالات المساعدات الدولية وفدوا في أثناء سنوات أوسلو، ومعلمين، وأجانب متزوجين بفلسطينيين، قد توحدت في تنظيم المتطوعين الدوليين في فلسطين. وأدى استعمال إسرائيل لطوافات الأباتشي ومقاتلات الـ إف – 16 في قصف الأحياء السكنية إلى تصعيد العنف، وكان بمثابة عرض للعتاد العسكري الذي تدفع دولهم ثمنه. وفي الوقت نفسه، كان انعدام جدوى النشاط الفلسطيني المسلح في بعض الأماكن واضحاً جداً: فإطلاق النار من رام الله/البيرة على مستوطنة بْسَغوت المجاورة لم يتسبب بأية إصابات في صفوف المستوطنين، لا بل كان يستثير غضب الجيش الإسرائيلي على المدينة. ناقش المتطوعون الدوليون عدداً من الأفكار: أراد بعضهم تدريب الفلسطينيين على المقاومة السلمية، بينما فكر آخرون في أن عليهم تركيز جهودهم على حكوماتهم الخاصة. أخيراً، وفي تشرين الأول/أكتوبر 2000، قرّ رأي المجموعة على التظاهر أمام القنصليات في القدس.[11]

لكن حتى هذا القرار لم يحسم السجال الدائر في شأن كيفية تعامل المجموعة مع النشطاء الفلسطينيين على الأرض. وفي ربيع سنة 2001، تفاقم الخلاف عندما ظهر مروان البرغوثي، أمين سر "فتح" في الضفة الغربية وأحد دعاة اتفاق أوسلو، في مسيرة جابت رام الله وغدا الوجه الرسمي لانتفاضة متزايدة التسلح. وبعد شيء من المناقشة كُلّف أحد قادة المتطوعين الدوليين في فلسطين مهمة مطالبة البرغوثي الخرقاء بأن يغادر. كان بعض هؤلاء لا يريدون أن ينظر إليهم باعتبارهم مرتبطين بفصيل معيَّن، وكان آخرون لا يريدون أن ينظر إليهم باعتبارهم مرتبطين برجل يعتبر إجمالاً زعيم العمل النضالي الفلسطيني.

أمّا غير هؤلاء فقد اعتبروا قرار مطالبة البرغوثي بالمغادرة قراراً خلافياً. إذ أثار هاجس أن المتطوعين الدوليين، مع اهتماماتهم الخاصة، تخطوا خط التضامن وصولاً إلى إملاء ما يجب عمله على الفلسطينيين. من ذلك مثلاً أن هويدا عرّاف، وهي فلسطينية في الخامسة والعشرين من العمر حائزة الجنسيتين الإسرائيلية والأميركية، وأصبحت فيما بعد مؤسسة ح ت د وزعيمة لها، كانت تعتقد بقوة أن التظاهرات يجب أن تكون مفتوحة للجميع، ورفضت في ذلك اليوم أن تسير مع المجموعة. غير أنها كانت أيضاً تشارك في اعتقاد كثير من المتطوعين الدوليين أن الفلسطينيين يمكنهم أن يستفيدوا كثيراً من برنامج ناشط للمقاومة السلمية. وفي وقت سابق من ذلك الربيع، وفي خيمة احتجاج نظمها المتطوعون الدوليون في فلسطين أمام المقاطعة، مقر قيادة الرئيس ياسر عرفات في رام الله، قابلت عرّاف عدداً من الفلسطينيين المسلحين الذين عادوا لتوّهم من التدريب. "قال لي أحد الشباب: (أنا مطلوب منذ ثلاثة أعوام. وأنا لا أترك سلاحي). وقد صدمتني طريقة الحياة التي بات الفلسطينيون مجبرون على انتهاجها. غير أنني حدّثتهم عن نظرتي إلى المقاومة السلمية."[12] وقد انحل عقد المتطوعين الدوليين في فلسطين مع الأيام، إذ فقد الأعضاء الاهتمام، أو باتوا منخرطين في أشكال أُخرى من الجهود الناشطة. لكن التحديات التي تعاملت معها هذه المجموعة برزت إلى السطح ثانية مع قيام ح ت د.

ومع أن مؤسسي الحركة لا يستطيعون أن يقدموا تاريخاً دقيقاً لمولدها، فإن عرّاف، التي كانت تخلت عن وظيفتها في منظمة بذور السلام الشبابية الإسرائيلية – الفلسطينية (Israeli-Palestinian youth organization Seeds of Peace) لتكرس نفسها للنضال، كانت ارتبطت بنيتا غولان وبالمركز الفلسطيني للتقارب بين الشعوب (بيت ساحور)، الذي يرئسه فلسطينيان من الضفة الغربية هما جورج رشماوي وغسان أندوني.[13] وكانت هذه المنظمة تزعمت حملة كبرى للعصيان المدني في بيت ساحور خلال الانتفاضة الأولى. وقد سحقت الحكومة الإسرائيلية التمرد بعد خمسة وأربعين يوماً من الحصار الفعلي، وحظر التجول المستمر، ومصادرة الأملاك (كل شيء، من التجهيزات المكتبية إلى ثلاجة المطبخ)، وموجات من الاعتقالات.[14]

ولمّا كان المركز الفلسطيني للتقارب يصدر عن خلفية متأصلة في الحوار والخدمة كذراع ناشطة للطائفة المسيحية، فقد أراد تعزيز مشاركة الجمهور في انتفاضة الأقصى. في أواخر سنة 2000 كان المركز نظم مسيرة شموع إلى حاجز بيت لحم، شارك فيها بشكل لافت في ذلك الوقت عدة آلاف من المتظاهرين. وبعد أسابيع، في 28 كانون الأول/ديسمبر، سارت المجموعة مع المتطوعين الدوليين وبعض اليساريين الإسرائيليين إلى معسكر للجيش الإسرائيلي في بيت ساحور كان يطلق النار على البلدة. وفي نجاح أدهش حتى منظمي المسيرة، تمكن نحو 300 متظاهر من دخول

المعسكر. وتذكر غولان "أنه لم يكن ثمة حراس عند البوابة. وصلنا إلى البوابة وكنا ننظر إلى الداخل، ولم يكن هناك شيء، لذا توغلنا أكثر. لم ينتبه الجنود لنا إلاّ عندما بتنا في وسط القاعدة. لم يعرفوا ماذا يفعلون." قرأ المتظاهرون بياناً يطالب الجيش بالانسحاب، ثم انصرفوا. وبينما هم ينصرفون قام متطوع دولي برفع علم فلسطيني على موقع للحرس، وهو عمل بثته وسائل الإعلام الإسرائيلية وسبب إحراجاً كبيراً للعسكر. واضطر الجيش إلى الإعلان أنه نقل القاعدة 200 يردة. "مئتا يردة ليست بالانتصار الكبير، لكنها تظهر أنهم اهتموا بالأمر"، على حد قول مدير المركز الفلسطيني للتقارب جورج رشماوي. "اعتقدنا أن في وسعنا أن نبني على هذا. كان ثمة أمثلة للعمل السلمي الناجح كفرق صانعي السلام المسيحيين في الخليل، فلمَ لا يكون في وسعنا أن نفعل الشيء نفسه؟"[15]

وبالتدريج، بدأت تتكون فكرة دعوة المتطوعين الدوليين إلى المشاركة في حملة تنطوي على سلسلة من التظاهرات المشابهة. وتنسب عرّاف الفضل في هذه الفكرة إلى الطبيب المقيم والمتطوع في ح ت د طوم ستافولد (Thom Staffold). "فقد جاء بفكرة مئات أو آلاف من الأجانب يقفون في طريق الجيش الإسرائيلي ويمنعونه من التقدم... وهكذا أرسلنا نداء إلى المتطوعين الدوليين كي يأتوا وينضموا إلى الفلسطينيين في مقاومة هذا الاحتلال. لم يكن في نيتنا أن نقول (تعالوا وانظروا ماذا يحدث). كنا نريد أن نقول: (تعالوا فالوضع يستلزم عملاً ناشطاً مباشراً، والوقوف دفاعاً عن المدنيين المستهدفين)."[16]

صيف الحرية

أول حملة كهذه نظمتها ح ت د، "صيف الحرية 2001"، سميت بهذا الاسم تيمناً بالتظاهرات المنسقة التي خرجت سنة 1964 والتي شكلت منعطفاً في تاريخ حركة الحقوق المدنية التي قادها الدكتور مارتن لوثر كنغ الأصغر في الولايات المتحدة. لكن بينما كانت الحركة تستعد لاستضافة موجة من المتطوعين الدوليين، وجدت أن نجاح أعمالها ضد الجيش الإسرائيلي يتعلق ببناء علاقات بالمجتمع الفلسطيني، وهو درس ما زالت ح ت د تحتفظ به حتى اليوم.

كانت خطة الحركة تقضي بإقامة خيمة من "الدروع البشرية" في أوائل تموز/يوليو أمام معسكر للجيش في الخضر، وهي قرية مجاورة لبيت لحم كانت هدفاً لهجمات إسرائيلية متكررة.[17] ومع أن الحركة كانت استحصلت على إذن من أصحاب العقارات في إقامة الخيمة، فإن بعض الأهالي كان يعارض ذلك. "أدركنا أن الكثير من الجماعات الناشطة في بيت لحم كانت تعارض ذلك"، على ما تذكّر أندوني، "كانت ترى أن ما نقوم به إنما هو إقامة عائق يعوق المقاومة والعنف."

كان هناك مصادر أُخرى للاحتكاك أيضاً. وفي اجتماع ساخن سبق العمل المخطط له، عارض أهالي الخضر بشدة مشاركة الإسرائيليين فيه (كانت بات شالوم وزعت إعلاناً إلكترونياً وصل إلى المضيفين الفلسطينيين). ذلك بأن عدة زيارات تضامن وتظاهرات نظمتها الجماعات الإسرائيلية اليسارية أسفرت عن ردات فعل عسكرية إسرائيلية قاسية ضد الخضر التي كانت تعاني أصلاً وطأة الحصار. ففي أواسط حزيران/يونيو، أخفق بعض النشطاء الإسرائيليين في الحضور للمشاركة في تظاهرة جراء مقتل عميل للاستخبارات الإسرائيلية قبل بضع ساعات في الجوار. وقد هاجم الجيش والشرطة الإسرائيليان المجموعة الصغيرة جسدياً وكسرا ساعد نيتا غولان وجرحا خمسة فلسطينيين. كان عند أهالي الخضر بضعة أسئلة جادة طرحوها على ح ت د: ماذا تكون عواقب الإقامة الطويلة الأمد؟ هل سيكون في وسع القرية أن تضمن سلامة الضيوف الإسرائيليين في جو الانتفاضة المحموم؟

أندوني نفسه يعتقد اعتقاداً راسخاً أن ثمة ضرورة للتنسيق مع الشركاء الإسرائيليين على الرغم من الرأي السائد لدى كثيرين من الفلسطينيين في أن أولوياتهم يجب أن تظل منفصلة تماماً عن أولويات الإسرائيليين، حتى اليساريون منهم.[18] وهو يذهب إلى أن الحجة ضد العمل مع الإسرائيليين إنما يستعملها معارضوه لتحريك المشاعر لكنها "ليست مخلصة". ومع ذلك فإن أندوني يقول أنه ناضل من أجل سياسة متطورة في ح ت د لا تسمح بالمشاركة الإسرائيلية إلاّ بموافقة المجتمع المحلي.

وفي نهاية المطاف رُفض اقتراح خيمة الخضر، الأمر الذي أدى إلى خيبة أمل كبيرة لدى المركز الفلسطيني للتقارب. بدلاً من ذلك تمكن ناشطون إسرائيليون ودوليون وآخرون من شباب الخضر، في 13 تموز/يوليو، من إزالة عائق ترابي كان الجيش الإسرائيلي أقامه ليسد طريق الخضر. ومع هذا ظلت الاتصالات مشوشة. فعلى الرغم مما روي عن مطالبة أهالي القرية ببقاء المتطوعين الدوليين في حال حدوث أعمال انتقامية، فإن كثيرين من المتظاهرين غادروا بُعيد العمل. وعقب ذلك رشق الحجارة فجرح فلسطيني في ساقه بالذخيرة الحية.

ويقول أندوني اليوم إن مقترحات الخضر كانت تعاني انعدام التنسيق و"ذهنية (أن ح ت د تريد أن تقوم بعملها)." وهو يشير إلى نشاط جيد التنسيق تم في بيت جالا بعد عدة أسابيع وتلقى دعماً محلياً ساحقاً. غير أن هذه المفاوضات المبكرة بين أولويات الحركة وأولويات مناضلي الخضر قُيّض لها أن تنعكس لاحقاً داخل الحركة نفسها. كان المناصرون الدوليون الفلسطينيون يقدمون أداة نفيسة لدعاوة المناصرة والمصاحبة الجسدية، غير أن الفلسطينيين المحليين كانوا يصرون على الاحتفاظ بالسيطرة على كيفية استخدام هذه الأداة.

فلسطينية أم دولية؟

لم تسفر حملة "صيف الحرية" في آب/أغسطس 2001 إلاّ عن نحو خمسين ناشطاً لا الآلاف التي تخيلها ستافولد. غير أن الأرقام كانت كافية لتواجه الحركة باثنتين من أصعب مهماتها: تنظيم الحركة بغية الاستمرار، وتقرير من سيتولى القيادة. ويعتبر أندوني هذه المناقشات إحدى مرحلتين كادت الحركة فيهما تتفكك.[19] وتقول عرّاف أيضاً إن السجال كان "بشعاً" في بعض الأحيان.

كان موقف عرّاف أن الحركة إذا كانت "منسقة دولياً"، وخاضعة لقيادة دولية أيضاً، فإن من شأنها أن تتجاوز المنافسات الفلسطينية وتكون أكثر فعالية في العمل مع الفلسطينيين كافة. أمّا أندوني فكان مصراً على أنه ينبغي للحركة أن تستلهم معايير قيادتها من فلسطينيين على الأرض. وساندت غولان أندوني؛ فقد أقرت – بصفتها إسرائيلية – بعبء آخر يلزمها بعدم فرض أفكارها. فهي تقول: "أنا خائفة حقاً من أن أكون ناشطة استعمارية. علينا أن نجد أشخاصاً في المجتمع المحلي نعمل معهم ونستمع إليهم... علينا أن نتناغم تماماً مع ما يريده الناس هنا." وتتذكر غولان ذلك العهد في حارس يوم خف الضغط على أهالي القرية وبدأ القرويون يتساءلون عما تفعله في القرية. ومع أنها كانت تشعر بالتزام شديد حيال عائلات حارس فقد طُلب منها أن تغادر. وحين تنظر إلى الماضي تقول: "الثقة تعني أن تكون هنا عندما يحتاج إليك الناس، لكنها تعني أيضاً ألاّ تكون هنا عندما لا يحتاجون إليك."

أفضت عملية بناء الإجماع الشاقة بين القادة إلى اتفاق ضمني على أن تكون ح ت د بقيادة فلسطينية. وتم التعبير عن هذا بأجلى صورة في ثلاثة مجالات: أن الفلسطينيين يشكلون جزءاً من القيادة وعملية بناء الإجماع التي تقود الحركة؛ أن يتم تنسيق كل عمل مع الفلسطينيين على الأرض؛ أن "حركة التضامن الدولية – فلسطين" هي أساس الحركة.[20]

مع ذلك فإن ممارسة هذا الالتزام تشكل صراعاً. "إذا كنتم تريدونها أن تكون فلسطينية القيادة عليكم أن تكونوا صبورين"، على حد قول أندوني. وتعبّر عرّاف عن تذمرها من الطبيعة المشوشة للحركة الوطنية الفلسطينية اليوم. "ليس لدينا استراتيجيا للانتفاضة. منذ البداية وأنا أنتظر. أسمع (صمود) و(حتى القدس)، لكن ماذا يفترض في الناس أن يفعلوا؟" وهي تعتقد اعتقاداً راسخاً أن للمتطوعين الدوليين دوراً مهماً يؤدونه في فسح "المجال السياسي لتحرك الفلسطينيين" – لا مجرد توفير الدعم الجسدي، بل رسم الاستراتيجيات السياسية أيضاً. أمّا ما يتفق أندوني وعرّاف عليه فهو أن على المتطوعين الدوليين حيثما وجدوا على الأرض أن يعملوا بالتنسيق الوثيق مع النشطاء الفلسطينيين المحليين. والنتيجة هي عمل نضالي أكثر تجاوباً، لكن هذا يعني أيضاً رفع مستوى المعيار الذي يحدد نجاحات ح ت د.

عملية السور الواقي

خلال عملية السور الواقي التي شنتها إسرائيل في أواخر آذار/مارس 2002، توصلت الحركة إلى تحديد إيقاع عملها. فمع اجتياح كل بلدة في الضفة الغربية – باستثناء أريحا – وفرض حظر التجول الصارم عليها، ومع إلقاء القبض على آلاف الفلسطينيين وسوقهم إلى معسكرات الاعتقال، وجدت ح ت د نفسها في وضع يلزمها بعمل الإنقاذ. راح أعضاؤها يجوبون الضفة الغربية في سيارات الإسعاف حاملين الطعام والدواء إلى الفلسطينيين المحتجزين في منازلهم، واستخدموا جوازات سفرهم للتحرك في الشوارع. اجتازوا التلال المطوقة بالجنود الإسرائيليين، وكانوا بين أوائل الذين دخلوا مخيم جنين.

في ذلك الشتاء قامت شبكة المنظمات غير الحكومية الفلسطينية، التي تضم عشرات لجان الإغاثة الطبية والزراعية والمنظمات المحلية غير الحكومية في جميع أنحاء الضفة الغربية وغزة، بإنشاء الحركة الشعبية الدولية لحماية الشعب الفلسطيني (Grassroots International Protection for the Palestinian People/GIPP)، وذلك بالتعاون مع ح ت د وجماعات المناصرة الهولندية والإيطالية والفرنسية والفلسطينية. وقد عملت المناقشات التي أدت إلى إقامتها على إضفاء التنظيم الشكلي على ما كان حتى ذلك التاريخ مجرد سلسلة من زيارات التضامن المرتجلة التي يقوم بها المناصرون الدوليون، وتوحيدهم في حملة كبرى. كان هدف هذه الحركة، كما جاء في تاريخ شبكة المنظمات غير الحكومية الفلسطينية، "إتاحة الفرصة للزوار كي يعاينوا بأنفسهم مختلف الانتهاكات الإسرائيلية في حق المدنيين الفلسطينيين، والعمل لردع العنف الإسرائيلي، أو تعويقه على الأقل." وكانت ح ت د خططت تحت رعاية الحركة الشعبية الدولية لحملة تطلق في نيسان/أبريل وأيار/مايو، وكان النشطاء يتوافدون حتى قبل أن تشن إسرائيل هجومها المكثف.[21]

وفي عمل وصفه مراسل CNN بأنه "لافت حقاً" قام عشرات النشطاء في ح ت د (العاملون تحت مظلة الحركة الشعبية الدولية، وبالتعاون مع نشطاء فيها) بمسيرة من وسط رام الله، التي فرض عليها حظر التجول الصارم، إلى مقر عرفات في المقاطعة، الذي كان مطوقاً تماماً بالمدرعات الإسرائيلية. وما إن صاروا في الداخل حتى أعلن أعضاء "الوفد" أنهم سيمكثون هناك لتوفير الحماية للزعيم الفلسطيني ولنحو 300 عنصر من قوى الأمن ومسؤولي السلطة الفلسطينية المحتجزين معه. وقد منحت وسائل الإعلام العطشة إلى الأخبار نظرة بديلة إلى النزاع عبر المقابلات الهاتفية مع المتطوعين الدوليين المرابطين في الداخل. ومن هؤلاء المتطوعين آدم شابيرو، اليهودي الأميركي الذي بات زوج عرّاف، والذي تلقى تهديدات بالقتل في مسقط رأسه بروكلين في الولايات المتحدة بعد أن تحدث إلى وسائل الإعلام عن الليلة التي أمضاها في

المقاطعة. كانت الأوضاع بائسة في المقاطعة، لكن غولان (التي أمضت أكثر من خمسة أسابيع فيها وخسرت عشرة كيلوغرامات من وزنها جرّاء فقدان الأغذية) تقول إن كثافة الاهتمام العالمي أعطتهم أملاً. "على نحو ما، كانت معنوياتنا عالية وكنا نعتقد أن الأشياء ربما كان لها معنى في الواقع وربما آلت إلى الأفضل." أفضت التغطية الإعلامية المكثفة التي قامت بها المحطات الفضائية العربية إلى إطلاع الفلسطينيين والعرب على عمل ح ت د، بحيث لم يقتصر ذلك على تمهيد السبيل أمام استمرار العمل النضالي، وإنما تعداه إلى إرسال رسالة مساندة إلى عرفات المستضعف الذي راح الفلسطينيون في معظمهم يعتبرون محاصرة إسرائيل له ووصمه بالشيطان تهديداً لا لشخصه فحسب بل لإرادتهم الجماعية أيضاً. تمادى حصار المقاطعة عدة أسابيع حتى أواخر نيسان/أبريل، حين تمكنت مجموعة أُخرى من المتطوعين الدوليين من إزاحة الجنود الإسرائيليين ودخول المجمَّع. كان ضباط الجيش لا يزالون متخلفين في محاولتهم تعطيل حركات النشطاء.

وبينما كان دور ح ت د في المقاطعة يعتبر، محلياً، تعبيراً مطلوباً عن المساندة الدولية، فإن تدخلها في حصار كنيسة المهد في بيت لحم استجر الكثير من الانتقاد للحركة. ففي أواسط نيسان/أبريل، وبينما كان مخيم جنين في غمرة القتال الأخير بين مقاتليه والجيش الإسرائيلي، كانت بيت لحم مسرحاً لمواجهة متعادلة. كانت القوات الإسرائيلية تطوق نحو 200 مقاتل ومدني التجأوا إلى الكنيسة، التي كان يتحصن بها بعض رجال الدين. وقد ظلت مدن بيت لحم وبيت ساحور وبيت جالا أربعين يوماً خاضعة لحظر التجول الدائم بينما كانت المفاوضات تجري بين الفريقين.

في 28 نيسان/أبريل، قامت ح ت د بمحاولتها الأولى لدخول الكنيسة، لكنها باءت بالفشل لأن الملتجئين داخلها لم يفتحوا الباب. وبعد عدة أيام، في 2 أيار/مايو، وبعد إعلان كاذب في المكالمات الهاتفية بشأن خططها للقيام بمحاولة أُخرى في أواخر ذلك الأسبوع، أرسلت الحركة مجموعة خادعة ووفداً حقيقياً إلى مدخل الكنيسة.(22) وهذه المرة تمكن المتطوعون الدوليون من الدخول حاملين الأرز، والفاصوليا، وغير ذلك من الضروريات للمحتجزين في الداخل.

خارج الكنيسة كانت المفاوضات تنهار بين الحين والحين: كانت المقترحات الإسرائيلية المطروحة تتضمن كلها إبعاد بعض الرجال المختبئين في الكنيسة، وهو أمر يعد في نظر الفلسطينيين بمثابة إضفاء الصفة الشرعية على الإبعاد. لكن في 10 أيار/مايو، أُعلن أنه تم التوصل إلى صفقة وبدأ الفلسطينيون بالمغادرة، بعضهم يبعد إلى غزة وآخرون ينفون تماماً أمام أنظار عائلاتهم التي وقفت تجهش بالبكاء على بعد أمتار فقط. كان ذلك مشهداً درامياً غطاه تغطية حية معظم وسائل الإعلام العالمية.

فجأة عُلم أن المتطوعين الدوليين داخل الكنيسة رفضوا المغادرة قبل الحصول على ضمانات بأنه لن يتم إبعادهم.[23] وقال أحد المتطوعين الدوليين المقربين من المفاوضات أنه سأل غاضباً فريق ح ت د المرابط في الكنيسة كيف يمكنه أن يطالب بألاّ يتم إبعاد أفراده بينما لم يمنح هذا الحق لأولئك الذين يفترض فيه أن يحامي عنهم. وقد أدى رفض الفريق المغادرة إلى إبقاء المدينة خاضعة لحظر التجول، وإلى منع المسيحيين المحليين من استرجا ع كنيستهم.

وفي أساس هذا المشهد المحزن كانت مجموعة معقدة من سوء التفاهم، نظراً إلى أن المعلومات المفتوحة على شتى التأويلات كانت تتنقل بين المتطوعين الدوليين داخل الكنيسة وبين زملائهم، وفي جملتهم نيتا غولان، الذين ما زالوا مرابطين في المقاطعة، وتفاقم ذلك كله جرّاء قلة إلمامهم باللغة العربية وسوء فهم لصيغ المجاملة التقليدية العربية. كانت التلميحات من كبار مسؤولي السلطة الفلسطينية تفسر تفسيراً مغلوطاً فيه، كما أن بعض قادة ح ت د أقر بوجود رغبة لاشعورية لديه في قراءة التلميحات على نحو يمكّن من "الاستمرار في التحدي".[24]

وقد جاءت عاقبة الحادث وخيمة عندما طالب المفاوضون ورجال الإكليروس المتطوعين الدوليين بمغادرة الكنيسة. فنشبت بعد هذا مواجهة جسدية وكلامية بين المفاوضين ورجال الإكليروس والنشطاء. وبعد دقائق دخلت الشرطة الإسرائيلية حرم الكنيسة واعتقلت المتطوعين الدوليين لإبعادهم. "وقد ولد ذلك اختلاطاً وتشويشاً كبيرين، لما نشأ عنه من انطباع عند المتطوعين الدوليين بأن البعض غشهم وسلّمهم للإسرائيليين"، وفق ما روى أندوني.[25]

ومذاك قام أندوني بعدة جولات على أهالي بيت لحم والمسؤولين الفلسطينيين ليفسر ما حدث. "كانت تلك غلطتنا. إذا كان لا بد من أن يلام أحد فالأَولى أن نلام نحن الذين كنا نقوم بالتنسيق والقيادة"، على حد قوله.[26] وقد جاء الحادث في أعقاب عدد كثير من الأعمال التي نالت التقدير.[27] غير أنه وضع ح ت د وجهاً لوجه مع مزالق تنظيم المتطوعين الدوليين في إطار فلسطيني علني جداً، وأحياناً مربك جداً.

العنف واللاعنف

مع أن هناك عدداً من القضايا "الفلسطينية البحتة" التي يتعامل معها أعضاء ح ت د يومياً، فإن من أهمها دفع المتطوعين الدوليين إلى داخل الجدال الدائر بشأن التكتيكات الفلسطينية في مقاومة الاحتلال الإسرائيلي. وبصورة عامة، يميل الغربيون إلى الافتراض أن أية مبادرة سلمية في فلسطين إيجابية في جوهرها وأكثر قيمة من المقاومة المسلحة. لكن هذا الافتراض ليس مما يعتقده الفلسطينيون على الأرض، والتقاطع بين هاتين المقاربتين محفوف بالمخاطر والمزالق.

تظهر استطلاعات الرأي، تكراراً وبصورة متماسكة، أن السواد الأعظم من الجماهير الفلسطينية يفضل مقاومة الاحتلال بأية طريقة متاحة، من التظاهرات السلمية إلى التفجيرات الانتحارية.[28] وفي الوقت نفسه، فإن ثمة أصواتاً تتعالى من صفوف المجتمع المدني الفلسطيني وزعماء الوسط السياسيين وتعتبر أن التفجيرات الانتحارية تضر أبلغ الضرر بالقضية الفلسطينية. وقد تم التعبير عن هذه الآراء علناً أول مرة بعد عملية السور الواقي في رسالة وقعها أبرز المثقفين الفلسطينيين ونُشرت في صحيفة "القدس" بتاريخ 20 حزيران/يونيو 2002 (وقد تعرض البيان لانتقادات واسعة نظراً إلى عدم إدانته الهجمات الإسرائيلية على المدنيين الفلسطينيين). وفي وقت لاحق، شُجبت التفجيرات الانتحارية داخل إسرائيل أيضاً عبر وقف إطلاق النار الذي توسط فيه الاتحاد الأوروبي والذي أعلنته "فتح"، وهي الفصيل الأساسي التابع لعرفات، والتصريحات التي أدلى بها في غزة رئيس الحكومة الفلسطينية آنذاك، محمود عباس.[29] مع ذلك، فإن الخلاف بشأن التفجيرات الانتحارية والهجمات على المدنيين داخل إسرائيل لم يزعزع الاعتقاد الفلسطيني الغالب بأن المقاومة المسلحة والتظاهرات غير المسلحة تتساوى في السعي وراء الاستقلال.

وقد نجحت إسرائيل وأنصارها نجاحاً باهراً في استخدام الإيمان الفلسطيني بالمقاومة المسلحة لتطلي الفلسطينيين كلهم بطلاء الإرهاب، وهي وصمة تغلغلت في معظم وسائل الإعلام الغربية التي تغطي أنباء الصراع. ومما يغرب عن ملاحظة الجمهور الدولي تلك الأشكال المتعددة للاحتجاج وعدم التعاون: رفض التقدم من السلطات الإسرائيلية لطلب الإذن في السفر بين المدن؛ اللجوء إلى الطرق الطويلة الوعرة حول الحواجز بدلاً من الرضوخ للنظام الإسرائيلي؛ وببساطة مزاولة العمل ومواصلة الحياة اليومية في أوضاع شبه مستحيلة.

يعترف مؤسسو ح ت د بالهوة الممتدة بين الإدراك الخارجي للمقاومة الفلسطينية وبين الوقائع القائمة على الأرض، ويؤكد موقف الحركة أن للفلسطينيين "الحق في الكفاح المسلح المشروع" مع أنها تروج عمل اللاعنف المباشر. وفي الوقت نفسه تظهر وثائق الحركة مثالية إمكانات قيام "ثورة" على طريقة غاندي. وتصف أهدافها بأنها "حملة لصنع السلام يقوم بها مواطنون دوليون... وتستخدم تكتيكات عمل اللاعنف المباشر التي كان من روادها غاندي، ورئيس الأساقفة توتو، والدكتور مارتن لوثر كنغ الأصغر، وسواهم من ممارسي المقاومة السلمية الخلاقة."[30] ويقول المتطوعون أنفسهم أنهم ما كانوا لينخرطوا في ح ت د لو لم تكن تلتزم اللاعنف.[31]

ينتمي أندوني إلى أولئك الفلسطينيين المحليين الملتزمين العمل السلمي المباشر. وهو يقر بأنه من الأقلية، لكنه يعتقد اعتقاداً راسخاً أن الأكثرية الصامتة – أي الفلسطينيين المنخرطين حالياً في موقف عدم التعاون مع الاحتلال – يجب أن تقتنع

بالانخراط انخراطاً مباشراً في المقاومة السلمية. وفي رأيه أن من شأن انضمام أعداد كثيرة إلى هذا الشكل من أشكال الاحتجاج أن يعزز الكفاح الفلسطيني تعزيزاً قوياً، ولا سيما أن ليس ثمة إلاّ أقلية ضئيلة من الفلسطينيين منخرطة بفعالية في المقاومة المسلحة، بينما "يعاني الآخرون ويصمدون". وهو يعتقد أيضاً أن من شأن التزام كهذا أن يوقف عملية "التكيف إزاء الاحتلال" التي تدمر المجتمع من الداخل، ويرى أن اللاعنف يستطيع أن يكسر أدوات التحكم الإسرائيلية. وعلى حد قوله: "إن هذا لن ينهي الاحتلال مباشرة، لكنه سيجعله غير قابل للاستمرار. إن أهم إنجازات الانتفاضة الأولى كان إثبات عدم قابلية الاحتلال للاستمرار، ولذلك كان الجميع يبحثون عن بدائل."[32]

ويقول أندوني للأجانب الذين ينضمون إلى حركته إنه وإن لم يكونوا في فلسطين كي يشيروا على الفلسطينيين ما يجب عمله ("لأن الجميع سينظرون إليك باعتبارك تهديداً") فإن عملهم على الأرض هو بمثابة مثال (يصفه أندوني بـ "الهدام"). هذا خط رفيع يصعب المشي عليه، كما أن توقع أن يكون المتطوعون الجدد قادرين على تمييز هذه التفصيلات الدقيقة ينطوي على شيء من التفاؤل. ويحكي منسق فلسطيني من مخيم عسكر للاجئين في نابلس عن غيظه عندما أشار أحد متطوعي ح ت د إلى أحد الاستشهاديين الفلسطينيين بأنه "غبي". فما كان منه إلاّ أن قال للرجل: "كلانا يعارض هذا، لكن من المهم أن نبدي الاحترام ونستخدم الكلمات اللائقة. أنا أحترمك لأنك في منزلي، لكنني لا أعرف كيف سينظر الناس في الشارع إلى تعليقك."[33] ومع أن أحد انتصارات ح ت د كان التوصل إلى نشر أخبار ورسائل إخبارية في صحف "نيويورك تايمز"، و"واشنطن بوست"، و"بوسطن غلوب"، و"الغارديان"، وسواها من وسائل الإعلام الكبرى، فإن جهود العلاقات العامة هذه لمما يجب التعامل معه بلباقة لاجتناب تغذية النظرة القائلة إن المتطوعين الدوليين يحاولون "أن يعلّموا" الفلسطينيين اللاعنف، والتشديد من دون قصد على الصورة المنمطة السائدة بأن الفلسطينيين في جوهرهم يحبون العنف.[34]

وكما بينت تجربة المتطوعين الدوليين المبكرة في رام الله، فإن بلورة صورة العنف واللاعنف أمر حاسم من أجل التعبير عن التضامن في الإطار الفلسطيني. "بعض [المتطوعين الدوليين] مطلع على ما يجري، وهؤلاء لا يشكلون مشكلة"، بحسب ما قال محامي حقوق الإنسان شوقي عيسى ذات مرة،[35] "لكن الآخرين لا يفهمون. فهم يأتون مشحونين بأفكار وسائل الإعلام في بلادهم الأم، ويصعب علينا التعامل معهم في فترة [التعلم] هذه." وكان لدى المحامي كلمات لاذعة أيضاً لبعض الفلسطينيين الأميركيين الذين "يحاولون تعليم الفلسطينيين ما يجب أن يفعلوه، وإفهامهم أنهم لا يفعلون كل ما يجب فعله. لكنهم لا يفهمون لأنهم ليسوا من هنا... إنهم يلقون الدروس

ثم يعودون إلى فنادقهم وحياتهم المعتادة."

إن ما يطلبه المتطوعون الدوليون ليس مناسباً دائماً للفلسطينيين، والتوصل إلى ردم الهوة بين ما يراه هؤلاء المتطوعون وبين كيفية إدراك الفلسطينيين للأمور، لمن أصعب المهمات الملقاة على ح ت د: أولاً لأن استراتيجيا الانتفاضة الفلسطينية في حال من التشوش تجعلها عسيرة على الإدراك؛ ثانياً لأن انتهاج نهج غير ذاك الذي اختاره الفلسطينيون معرض جداً لأن يقترب اقتراباً خطراً مما وصفته نيتا غولان بـ "النشاطية الاستعمارية".

تطوير نقد

في أوائل أيار/مايو 2003 صرح وزير الدفاع الإسرائيلي، شاؤول موفان، أنه يجب ترحيل نشطاء ح ت د عن الأراضي المحتلة. وقد جاء التصريح بعد أن اعترف أعضاء الحركة في رفح بأنهم كانوا التقوا لفترة قصيرة، وعن غير قصد منهم أو تعمد، مواطنَيْن بريطانيين نقلاً لاحقاً قنابل إلى مقهى في تل أبيب (وقد انفجرت إحدى القنبلتين فقتلت أحدهما وثلاثة مدنيين آخرين). وادعت إسرائيل أن الاثنين حصلا على الإذن في دخول إسرائيل وقطاع غزة باعتبارهما من "دعاة السلام" – وهي تهمة ماكرة نظراً إلى كون الطريقة الأسرع للفت أنظار التدقيق الرسمي الإسرائيلي هي في إعلان الشخص أنه من "دعاة السلام"، وذلك نتيجة للصورة التي ارتسمت في الأذهان عن ح ت د بعد اجتياح سنة 2002. وتبعاً لإحصاءات إسرائيل نفسها، فإن "آلاف" المواطنين الأجانب منعوا من اجتياز نقاط العبور بعد عملية السور الواقي نظراً إلى الاشتباه في أنهم مرتبطون بـ "جماعات مناصرة الفلسطينيين". وقد أبعد العشرات غيرهم. وفي أحدث دليل على التضييق، اقتحم الجنود الإسرائيليون في 10 أيار/مايو مكاتب ح ت د في بيت لحم، واعتقلوا متطوعيها، وصادروا أجهزة الكومبيوتر والمعلومات. وبعد عشرة أيام دخل ثمانية جنود إسرائيليون المقر العام لـ "الفريق المسيحي لإحلال السلام" في الخليل، وفرضوا مجموعة مستحيلة من القيود فحواها إلزام المناضلين الدوليين بحصر نشاطهم في رقعة ضيقة من الخليل، أو التعرض للإبعاد.[36] وقد أدت عملية اعتقال المتطوعين، أو إبعادهم عن الأراضي المحتلة، أو نفيهم، إلى الإضرار بـ ح ت د في بعض المناطق التي كانت فيها على درجة متقدمة من التنظيم.

ح ت د تتعرض للهجوم إذاً. وعلى حد تعبير نيتا غولان فإن الحركة "قُذفت إلى طور البلوغ." وبينما تناقش الحركة اليوم كيف يمكنها مقاومة الضغوط الإسرائيلية الجديدة، تجُري أيضاً عملية تقويم لتحديد الاتجاهات التي تستطيع النمو فيها.

دراسة حالة

قرية يانون، التي تحاذيها مستوطنة إيتمار الإسرائيلية المتطرفة والمتنامية، تتيح لنا مثالاً للدعم الحماسي الفلسطيني وللانتقادات الفلسطينية المحدَّدة لعمل ح ت د.[37] وفي أواسط تشرين الثاني/نوفمبر 2002 احتلت القرية الصغيرة، الواقعة إلى الجنوب من نابلس، صدارة الأنباء الدولية عندما قامت ثماني عائلات من عائلاتها الثلاثين بحزم أمتعتها ومغادرة منازلها جرّاء المضايقات المستمرة من المستوطنين المجاورين الذين اقتحموا منازل القرية وضربوا المسنين، وعبثوا بمولد كهرباء القرية الوحيد. وبعد ساعات على رحيل القرويين، أقدمت "الحركة الشعبية الدولية لحماية الشعب الفلسطيني"، وحركة التضامن الدولية، ومجموعة "تعايش" الإسرائيلية، على توفير حضور دائم من خلال الإقامة لتقديم الحماية. ونظراً إلى الأوضاع الخاصة قال متطوعو ح ت د إن دورهم لم يكن التظاهر مع الفلسطينيين وإنما مساعدة أهالي القرية على القيام بأعمالهم المعتادة، كجني المحاصيل، والعناية بالحقول، وسوق الماشية إلى المرعى – وكلها أنشطة باتت خطرة على بعد يزيد على 100 متر من تجمع منازل القرية.

المهمة الأُخرى كانت التواصل مع الجيش الإسرائيلي. ففي يوم "عادي" شاهد عضو في مجموعة "النساء الدولية لخدمة السلام – فلسطين" (IWPS) أحد المستوطنين على مقربة من القرية فأخبر الجيش الإسرائيلي هاتفياً ثم نقل الخبر إلى أحد أعضاء ح ت د. وصل الجيش وتم تطويق الحادث. ويتحدث محمد أبو هنية، من أهالي قرية يانون، بلسان كثيرين عندما يقول إن هذا المثال البسيط يبرهن كيف استطاع المتطوعون الدوليون أن يؤثروا تأثيراً قوياً في الوضع. "كنا ندعو الجيش إلى التدخل فلا يردّ أحد علينا، والآن تراهم يسرعون في المجيء لأن الإسرائيليين يخافون أن يظهروا وجهاً سيئاً للعام."

وكما في كل مكان تكون ح ت د حاضرة فيه، يتم التوصل إلى القرارات بالإجماع مع الجماعات المجانسة. غير أن التنسيق مع السلطات الفلسطينية نادر جداً في يانون، إذ إن المختار لا يُعتبر مرجعاً في اتخاذ القرارات (فهو "ليس مختار ح ت د"، على ما قيل لنا). وبينما يرصد موظف منتم إلى "فتح" من قرية عقربة حركات المجموعة وسكناتها عن كثب، فإن متطوعي الحركة يعتبرون هذا الدور تطفلاً (إن هذا الفراغ في القيادة السياسية الفلسطينية يبدو صارخاً في القرية المعزولة. ففي حالة رفح، مثلاً، أنتجت المحاولات المتكررة والمركزة لبناء سبل اتصال، علاقات عمل مع القيادات المحلية للاجئين،[38] كما أن ح ت د تفتخر بأنها تعمل في طولكرم مع لجنة مؤلفة من كل الفصائل الفلسطينية تقريباً).

ومن أهم الانتقادات التي يوجهها المتطوعون الدوليون إلى الحركة (وسواها من المجموعات الدولية) أن النشطاء يشكلون من حيث لا يدرون عبئاً إضافياً على المجتمع

المحلي. ففي يانون، مثلاً، يقيم المتطوعون من ح ت د والمجموعة الفرنسية "الحملة الدولية لحماية الشعب الفلسطيني" (CIPPP) بمنزل قدمته عائلة هجرت القرية، بينما يقيم المزيد من نشطاء ح ت د ومصور زائر بغرفة احتياطية في الحي السفلي من القرية. (في مناطق أُخرى يدفع المتطوعون إيجار المنزل، أو يعطون المجلس المحلي المال لتوزيعه، فيتحاشون بذلك إحراج المضيف). يُستقى الماء من النبع المحلي، وقد وصلت مدفأة تعمل على الغاز ذات يوم من دون سابق إعلان، ورُفض أي مبلغ من المال ثمناً لها. وكثيراً ما يقوم أهالي القرية بنقل المتطوعين الدوليين من المدينة وإليها في سياراتهم. ومع أنه يُطلب من متطوعي ح ت د أن يدفعوا أجور تنقلاتهم إلاّ إن الضيافة المحلية تجعل منهم ضيوفاً مكرَّمين يمضون كثيراً من الوقت في منازل الفلسطينيين. ولم يتمكن أحد أعضاء الحركة من أن يتذكر آخر مرة طها فيها طعامه، أو اشترى سجائر، أو غسل غسيله الخاص.

غير أن هذه الهواجس ليست مما يعيره الفلسطينيون أدنى التفات. فالكل في يانون عبر عن الامتنان للوجود الدولي فيها، ولم تسفر محاولات التحري عن الحساسيات حيال أي عبء إضافي عن أي نتيجة. بدلاً من ذلك، كانت انتقادات الفلسطينيين "سياسية"، وتتصل بتوزيع أوقات المتطوعين الدوليين وطاقتهم، وبالتشعبات الواسعة المتعلقة بوجود المتطوعين الدوليين.

وبعد لقاء حاشد للنساء دعت إليه مجموعة النساء الفرنسيات في يانون، مثلاً، أعربت القرويات عن الإحباط لأن اللقاء كان مجرد حفلة شاي اجتماعية. قالت عدة نساء أنهن لن يحضرن اجتماعاً كهذا إذا ما دعتهن المتطوعات الدوليات. "اعتقدنا أننا سنتحدث عن الأنشطة"، وأملن بأن تقوم المتطوعات الدوليات بتعليمهن الإنكليزية، أو بتدريبهن على التعامل مع الكومبيوتر بواسطة جهاز نقال كان مع إحدى المتطوعات. ومع أن أنشطة كهذه تتعدى نطاق عمل الحركة الجذري، فقد قامت في مناطق أُخرى (كنابلس مثلاً) بدور مهم في تعزيز الثقة بين المتطوعين الدوليين والمجتمع المحلي.

لكن ثمة هاجس محلي أكثر جدية، وتتردد أصداؤه على لسان واحد على الأقل من مؤسسي ح ت د،[39] وهو الأثر البعيد الأجل للمتطوعين الدوليين في الاكتفاء الذاتي لدى الفلسطينيين. يرحب عدنان أبو هنية، كغيره من أهالي يانون، بزيادة الأمن التي تحققت منذ وصول المتطوعين الدوليين. لكنه يلاحظ في شيء من القلق أنه عندما بدأت الحرب في العراق وقامت القنصلية الفرنسية بإجلاء المجموعة الفرنسية عن البلد، اهتزت القرية بأكملها. "عندما سمعوا بأن المتطوعين الدوليين يغادرون أرادوا أن يغادروا هم أيضاً" – بحسب ما قال أبو هنية – "والمسألة هي ما الذي تحسن؟ أنا لا أقول إنه يجب ألاّ يكونوا هنا، لكن كيف يمكننا الوصول إلى حل حقيقي؟ هذا شيء كالمخدر. فلا بد من أن يرحل هؤلاء الأجانب كلهم يوماً، وعندئذ ماذا ترانا نفعل –

نذهب إلى المصــح؟" أبو هنية يود أن يقلص دور الحضــور الدولي بالتدريج لتحاشــي التبعية.

غير أن الســواد الأعظم من أهالي القرية يريد أن يأتي المزيد من المتطوعين الدوليين إليها. ويتجاوب متطوعو ح ت د بتقديم طلبات يصفونها بالمحبَطة للحصول على المزيد من المتطوعين من المقر العام للحركة،[40] إذ تقول القيادة أنها بكل بساطة لا تملك الأعداد الكافية للإبقاء على حضــور أقوى. والقرويون يشــعرون بمزيد من الأمان عندما يكون المتطوعون الدوليون حاضــرين، وهم مســرورون لأن أولادهم يســتطيعون أن يلعبوا في الخارج من دون الشــعور بالخوف. وقد عادت عائلتان إلى القرية منذ أن قدم المتطوعون الدوليون. وعندما ســئل الأهالي لِمَ لم يعد المزيد من العائلات، أجابوا بأن مناخ القرية وإن كان قد تغير، فإن الحال الســياســية بين الفلسطينيين والإسرائيليين لا تزال كما هي.

توفر يانون لمحة عن ماهية عمل حركة التضامن الدولية على الأرض، في منطقة يسودها توازن دقيق. وبينما توفر مرونة الحركة فرصاً للمساندة المتجاوبة، فإن هذه المرونة نفســها تنقلب فرصــاً ضــائعة واضــطراباً ممكناً إذا ما انهار التواصــل بين المتطوعين الدوليين والقرويين. وفي حين تقوم ح ت د بالتخطيط للمســتقبل (وعلى افتراض أنها تســتطيع أن تتحمل العاصــفة)، فإنه يجدر بها أن تفكر تفكيراً جاداً في مخاطر وجود المتطوعين الدوليين المتواصل.

تنامي فروع جديدة

نظراً إلى تشــديد الإجراءات الإســرائيلية ضــد المتطوعين الدوليين في الأراضــي المحتلة، فإن حركة التضــامن الدولية – فلســطين، باعتبارها أســاس الحركة، توجه انتباهها إلى تقوية روابطها بمتطوعي الحركة الســابقين.[41] فالمحافظة على أعداد فاعلة في أوضــاع بات الإبعاد فيها وشيكاً تســتلزم ســيلاً متواصــلاً من المتطوعين الجدد، والاستخدام الفعال لأولئك الذين سبق تدريبهم.

لقد صار للحركة اليوم "جماعات مساندة" في نحو خمسة وثلاثين بلداً. وفي معظم الحالات يلتقي هؤلاء القدامى من تلقاء أنفســهم ليطوروا اتصــالات إعلامية، ويدلوا بأحاديث، ويجمعوا الأموال لإرســال المزيد من متطوعي الحركة. بعض الفروع أقوى من سواه، بحيث ينظم مناسبات منتظمة ويستهدف وسائل الإعلام. ويستخدم النشطاء المتمرسون البث المباشر على الهواء ليصفوا ما شاهدوه، ويدعون إلى التدخل الدولي، ويقدمون اقتراحات بشأن ما يستطيع الشخص العادي أن يفعله من أجل المساعدة.[42] وبينما تحذر حركة التضــامن الدولية – فلسطين النشطاء من التحدث باسم الحركة، تنظر إلى دعاوة المناصــرة التي يوجهها النشــطاء القدامى إلى مواطنيهم باعتبارها

جزءاً جوهرياً من عملها. كما أن الفلسطينيين كثيراً ما يذهبون إلى أن مكالمة الأجانب هي أفضل سبل المساعدة التي يستطيع المتطوعون الدوليون أن يقدموها. ومع هذا فإن 70٪ من متطوعي الحركة الجدد يصلون إلى بيت ساحور من دون أية صلة بأية جماعة مساندة خارجية، وهي نسبة توحي بأن في وسع الحركة أن تنشئ قاعدة أقوى كثيراً إذا ما توصلت إلى تحسين مهاراتها في بناء الشبكات لتنمية الاتصالات.[43]

والواقع أنه من غير النادر أن يصادف المرء نشطاء من ح ت د "متقاعدين". فثمة عدد مدهش من المتطوعين الذين ينضمون إلى الحركة يصبح محبطاً لأسباب متنوعة، وبدلاً من أن يعمل ضمن إطار بناء الإجماع داخل الحركة لإيجاد التغيير، يكتفي بالانسحاب. ولعل بعض أسباب هذه الخلافات الداخلية يبدو طبيعياً بالنسبة إلى حركة توسعت بهذه السرعة (بعد نهاية حرب العراق سنة 2003، ارتفع عدد طلبات الانتساب إلى 15 يومياً). لكن طبيعة ح ت د نفسها، كشبكة فضفاضة من المتطوعين غير الممتحنين، تعني أيضاً أن الروابط الأيديولوجية بين النشطاء ضعيفة بالضرورة. ويروي أندوني أن "بعض [المتطوعين] يتخذ اللاعنف مذهباً في الحياة، وبعضهم يدعم التضامن مع فلسطين ومحاربة الاحتلال، وسواهما يأتي من جماعات يهودية وصهيونية تشعر بالأسف على إسرائيل... ثم هناك جماعات السلام والعدل من الكنائس المسيحية، مع ما تتسم به من موقف (نحن هنا لنحل السلام). وربما استقبلنا أحياناً مسيحيين محافظين – مسيحيين من البيض المحافظين النمطيين."[44] وثمة متطوعون تابعون لحركة التضامن الدولية ليسوا من المعنيين بالنزاع الفلسطيني – الإسرائيلي أصلاً، وإنما هم فوضويون ومن أصحاب النزعة التقدمية العالمية.

إن هذا الطيف الواسع من الخلفيات لمما يميز العمل السياسي التطوعي اليوم، حيث تبنى الحملات في جزء منها على الإنترنت بقدر ما تبنى من خلال الحلفاء الأيديولوجيين المحليين. فالدعاوى التي رفعت ضد شركة المايكروسوفت، مثلاً، قامت بها شبكة فضفاضة من المحامين المعارضين للاحتكار، ومنظمي النقابات، وأنصار المستهلكين – وكثيرون منهم ربما كانوا أعداء سياسيين؛ وقد نجحت الشبكة لأنهم حشدوا الأعداد في استراتيجيا هجومية متعددة الساحات.[45] ولذا فإن قوة ح ت د هي في أنها تتسع للنشطاء في مجال البيئة، وللممرضات، وللعاملين في صناعة السينما الذين ينقلون زاوية مناصرة مختلفة إلى شبكاتهم الخاصة. والأمر الجوهري في إبقاء الحركة حية سيكون في تناغم الأصوات المتنوعة داخل أوركسترا المتطوعين القدماء هذه، بينما تقوّى علاقات النشطاء المحليين بحيث لا تفقد قاعدتها الفلسطينية. ويكمن التحدي في القيام بكل هذه الاتصالات مع الحفاظ على قدر كاف من اللامركزية، بحيث أنه إذا ما استطاعت إسرائيل أن "تقطع الرأس" يظل في إمكان الحركة أن تستمر.[46] وإن مجرد كون ح ت د تتعرض لكل هذا الضغط إنما يشهد على الأثر الذي

ولدته على المستوى الدولي. وعلى الحركة أن تظهر اليوم أنها قادرة على أن تكون أكثر منهجية، في موطنها وفي الخارج، مع الحفاظ على قدرتها على التكيف فجأة.■

المصادر

(1) أدى موت كوري إلى تحريك الرأي العام بعض الشـيء في الولايات المتحدة، وثمة قانون أمام الكونغرس يطالب بتحقيق معمق في مقتلها. وفي الأسابيع التي عقبت ذلك أصيب ناشطان أميركيان آخران من حركة التضامن الدولية بالرصاص. وفي نيسان/أبريل، أصيب متطوع بريطاني برصاص قناص إسرائيلي، وهو لا يزال في حالة غيبوبة. أنظر البيان الصحافي الذي وزعته الحركة في 5 أيار/مايو 2003:

http://www.palsolidarity.org

(2) هويدا عرّاف، مقابلة في 20 شباط/فبراير 2003. ولا يحتوي هذا الإحصاء على المجموعات التي تعاونت مع الحركة في أعمال محددة، وهذا ما يجعل عدد المتطوعين يفوق 2000.

(3) يفصّل كتاب أرثور غيش *Hebron Journal: Stories of Nonviolent Peacemaking* (Scottdale: Herald Press, 2001) عمل "فريق إحلال السلام المسيحي" في الخليل.

(4) مقابلة هاتفية مع جوزف سميث، أحد نشطاء ح ت د في رفح، 18 آذار/مارس 2003.

(5) نفي آخر: إن كل من يطلب أرقاماً مطلقة عن تمثيل ح ت د سيجد ذلك يداني المستحيل. كثيراً ما تكون تقارير الأنباء مضللة لأنها تخفق في التمييز بين نشطاء الحركة وبين سواهم من الشركاء الإسرائيليين والدوليين. يضاف إلى ذلك أن المعروف عن الحركة نفسها أنها تبالغ في تضخيم حضورها كطريقة لردع الجيش الإسرائيلي.

(6) بالنسبة إلى الإحصاءات المتعلقة بأعداد المتظاهرين الفلسطينيين الذين قتلوا في أوائل أيام الانتفاضة، أنظر:

http://www.palestinercs.org/crisistables/oct_2000_table.htm

(7) مقابلة هاتفية مع نيتا غولان، 18 نيسان/أبريل 2003.

(8) صوف نفسه لم يعد ناشطاً على المستوى السياسي مثلما كان. ففي 15 أيار/مايو 2001، أصيب شقيقه الأعزل برصاص الجنود الإسرائيليين ويمضي صوف معظم وقته في العناية به.

(9) أنظر: www.womenspeacepalestine.org

(10) تُستعمل هنا للتعبير عن كل من يحمل جواز سفر أجنبياً.

(11) مقابلة هاتفية مع منسق المتطوعين الدوليين في فلسطين، 12 تموز/يوليو 2001.

(12) مقابلة هاتفية مع هويدا عرّاف، 7 كانون الأول/ديسمبر 2001.

(13) لا تزال عرّاف وغولان وأندوني من أهم قادة ح ت د، مع أن أندوني يظل على الساحة كل الوقت نظراً إلى كون مقره في مكتب الحركة الرئيسي بفلسطين في بيت ساحور. أمّا عرّاف فتقيم معظم الوقت بالولايات المتحدة، مع أنها تزور فلسطين بانتظام وتبقى منخرطة بقوة. كما تظل نيتا غولان ناشطة، على الرغم من أن مشاركتها تراجعت بعد ولادة طفلها الأول مؤخراً.

(14) في حركة كبشير، إن صح التعبير، لحركة التضامن الدولية، جاء 120 أميركياً إلى بيت ساحور في 31 تشرين الأول/أكتوبر 1989 لكسر الحصار الإسرائيلي.

(15) Z-Net, "Excerpts from a Talk by George Rishmawi and Netta Golan," 10 December 2002, http://www.zmag.org/content/showarticle.cfm?SectionId=22&ItemID=2730

(16) مقابلة مع عرّاف.

(17) أنظر: Rapprochement Invitation,

http://www.occupationalhazard.org/voices/01.06.30.a.htm

(18) تضافرت ظاهرة تراجع الحمائم الإسرائيليين علانية عن عملية السلام، وتزايُد عنف المواجهات اليومية مع الإسرائيليين، على إعادة الفلسطينيين إلى المقاطعة التي فرضها الفلسطينيون ضد الاحتلال. حتى المنظمات الفلسطينية، كمركز القدس للنساء، التي أُسست على قاعدة التعاون مع الجماعة النسائية الإسرائيلية "بات شالوم"، قطعت علاقاتها خلال القسم الأكبر من العام الأول للانتفاضة.

(19) المشادة الأخرى أحدث عهداً، وهي تتمحور حول قضايا يرفض أي من مؤسسي المجموعة البحث في نشرها.

(20) مقابلة مع غسان أندوني، 14 كانون الثاني/يناير 2003.

(21) ساهم كل من النائبة في برلمان الاتحاد الأوروبي لويزا مورغانتيني (Louisa Morgantini)، ومدير الإغاثة الطبية الفلسطينية مصطفى البرغوثي، مساهمة أساسية في هذه المساعي.

(22) ألقي القبض سريعاً على المجموعة الخادعة وتم استجوابها. أُلقيت النسوة في ظلام الليل في مناطق متنوعة من القدس من دون وثائق هوية. أمّا الآخرون فقد احتجزوا في مراكز الاعتقال خمسة عشر يوماً قبل إبعادهم.

(23) من ردات فعل إسرائيل على توافد "دعاة السلام" رفض منحهم تأشيرات دخول، أو إبعادهم عند اعتقالهم. وإذا ما تم إبعاد أحدهم فإنه يمنع من دخول إسرائيل أو الأراضي المحتلة لمدة عشرة أعوام.

(24) مقابلة مع أندوني.

(25) استخدمت الشرطة الإسرائيلية ذريعة اختفاء قطعة سلاح كي تدخل الكنيسة، وما إن صارت في الداخل حتى طردت المتطوعين الدوليين بعنف.

(26) لا دلائل تدعم مزاعم وسائل الإعلام الإسرائيلية بأن المتطوعين الدوليين كانوا يشربون الخمر داخل الكنيسة. علاوة على ذلك فإن الغضب في المجتمع المحلي لم ينصب على وجود المتطوعين الدوليين، إذ كانوا موضع تقدير في معظم الأحوال، وإنما على التشويش المتعلق بسبب رفض هؤلاء المتطوعين المغادرة.

(27) "استقبلونا بالقبل حيثما ذهبنا"، على حد قول أستاذ الطبيعيات الإيطالي ألبرتو كلاريتسيو (Alberto Claritsio)، الذي تنقل في سيارات الإسعاف في رام الله ليوزع الغذاء والأدوية من جانب "الحركة الشعبية الدولية لحماية الشعب الفلسطيني". مقابلة هاتفية مع كلاريتسيو، رام الله، 3 نيسان/أبريل 2002.

(28) أظهر الاستطلاع الذي أجراه مركز القدس للإعلام والاتصال لمصلحة Search for Common Ground («New (Survey: Surprising Potential for Nonviolent Intifada,» 28 August 2003، أن 73٪ – 92٪ من الفلسطينيين يؤيدون طرق العمل السلمي. وفي الوقت نفسه أيد 91٪ الهجمات المسلحة على الجنود الإسرائيليين، وأيد 73٪ الهجمات الانتحارية على المدنيين الإسرائيليين. بعبارة أخرى: إن السواد الأعظم من الفلسطينيين يريد محاربة الاحتلال الإسرائيلي بكل الطرق. وجاء استطلاع سابق كان المركز نفسه أجراه في نيسان/أبريل 2003، أن 53٪ من الفلسطينيين يؤيدون انتفاضة مسلحة وشعبية في الوقت نفسه، و23٪ يؤيدون انتفاضة شعبية فحسب، و11٪ يؤيدون انتفاضة مسلحة فحسب.

(29) كان للمجتمع الدولي في هذه الحوادث دور جدير بالتنويه: فبيان "القدس" نشر بتمويل من الاتحاد الأوروبي، وكان للاستخبارات السرية البريطانية يد في التوصل إلى تعهد "فتح" بوقف الهجمات عبر الخط الأخضر، وعلى الرغم من التأييد الداخلي الذي يتمتع به أبو مازن فإنه ما كان ليكون رئيساً للحكومة لولا المساعي الخارجية المكثفة.

(30) بيان أهداف حركة التضامن الدولية، www.palsolidarity.org

(31) مقابلة مع جينس ماينكه (Jens Meincke)، بيت ساحور، 13 كانون الثاني/يناير 2003؛ مقابلة مع "روبين"، أحد نشطاء ح ت د، يانون، 12 شباط/فبراير 2003.

(32) مقابلة مع أندوني، 14 كانون الثاني/يناير 2003.

(33) مقابلة مع سيف أبو كشك، التدريب على حركة التضامن الدولية في بيت ساحور، 13 كانون الثاني/يناير 2003.

(34) احتج متطوعا الحركة كارلتون وكريستيان وليامز (Carlton and Christian Williams) على

تركيز وسائل الإعلام كهذا في رسالة بعثا بها إلى صحيفة "بوسطن غلوب" بعنوان: «Brothers Enter the Mid-East Fray» ونشرتها الصحيفة في عددها الصادر بتاريخ 1 أيلول/سبتمبر 2002.

(35) مقابلة هاتفية مع شوقي عيسى، حزيران/يونيو 2001.

(36) ترافق فرض الإجراءات الصارمة مع مزيد من القيود على الصحافيين، وعلى منظمات المساعدة الدولية التي تعمل في الأراضي المحتلة. "نحن في زمن حرب وهم يذهبون إلى أراضي العدو." على حد قول الناطق بلسان وزارة الداخلية الإسرائيلية، توفا إلنسون (Associated Press, 5 May 2003).

(37) زرت يانون في 31 – 14 شباط/فبراير 2003. ومذاك غادر متطوعو ح ت د، ويجري البحث عن نشطاء جدد.

(38) مقابلة مع منظم أنشطة اللاجئين زياد صرفندي، رفح، 18 آذار/مارس 2003.

(39) مقابلة مع عرّاف.

(40) مقابلة مع "روبين".

(41) «ISM Future Strategy»، رسالة إلكترونية وزعها غسان أندوني، 23 أيار/مايو 2003.

(42) مقابلة مع عرّاف، ورسالة إلكترونية من ريبيكا موري (Rebecca Murray)، إحدى ناشطات ح ت د، 26 أيار/مايو 2003.

(43) رسالة أندوني الإلكترونية ومقابلة معه.

(44) كثيراً ما يشعر الفلسطينيون المسيحيون بالإحراج جرّاء الميول الصهيونية إلى الجناح اليميني الديني في الولايات المتحدة.

(45) W. Lance Bennet, «Communicating Global Activism,» *Information, Communication & Society*, forthcoming 2003.

(46) مقابلة مع أندوني.

مجلة الدراسات الفلسطينية، جميع حقوق النشر وإعادة التوزيع محفوظة لمجلة الدراسات الفلسطينية، ولا يمكن نشرها أو توزيعها إلكترونياً إلا بإذن من رئيس تحرير المجلة وذلك عبر الكتابة إلى العنوان البريدي التالي: majallat@palestine-studies.org

يمكن تحميل هذه المقالة أو طبعها للاستخدام الفردي وعند الاستخدام يرجى ذكر المصدر:
http://www.palestine-studies.org/ar/mdf